

# رولان جاكار: الإنسانية ليست موهوبة للأفضل ولا للأسوأ

## جُهود الأبناء تجاه والديهم الشكل الأكثر مكرًا للحب



في أحد الأيام نفهم أن لا وجود لقصص الحب

الفضاءات الكبرى. كل امرأة أحببت محطة في طريق صليبي، لكنني نجوت بصحيح العبارة من الصلْب. يجب شيء من اللا وعي للدخول في قصة حب والكثير من الشجاعة للخروج منها.

نحسب انفسنا دون جوان نفرح بالرسائل المجددة التي تاتيها من غريبات. أحياناً نجيب. ننتقل إذن في سيناريو نتخيل أننا نتحكم فيه، لكن نكتشف أنه لم يكتب لأجلنا. نرغب أكثر في التعرف على كاتب السيناريو الذي حاك تلك القصة الماكيايالية حيث أوقع بنا ضعفاً.

### رولان جاكار

وُلد رولان جاكار في لوزان بسويسرا سنة 1941. اشتغل لفترة طويلة محرراً أدبياً في جريدة "لوموند" الفرنسية ومدير سلسلة المنشورات الجامعية الفرنسية. متعدد الأوجه، لاعب شطرنج وتتنس طاوله موهوب، لأعماله أشكال وأجناس أدبية مختلفة كالأبحاث النقدية منها "الإغتراب الباطني" و"الغواية العدمية" يتبعهما "مقبرة الأخلاق" وكتاب شهير تحت عنوان "فرويد"، ومن جنس اليوميات "الروح بلد شاسع"، "ظل هذب"، "يوميات رجل ضائع" و"يوميات كسول"، والكتب المصورة منها "القاموس الكلي المثالي" و"العودة إلى فيينا".

هنا في هذا الحوار الذي أجراه الشاعر التونسي بالفرنسية أيمن حسن جولة مع الكاتب السويسري الأصل، إنه بالضرورة هزاز كبير، وهو قد يبدو فوضوياً.. لكنه في الحقيقة أقرب في تفكيره وسلوكه الصداقي مع العالم إلى الغنوصيين المؤمنين بقوة الفكر وطاقته الروح على معانقة العالم بانفتاح، طالما هي متصلة بفكر كوني.

في مكان ما من النص الذي ترجمه له الشاعر التونسي يقول رولان جاكار "لا أتحمّل إلا الأشخاص الذين يحمون الآخرين من فظاظة حمل جنسية أو دين، وهم أشخاص تنقلت الأرض تحت أقدامهم"، و"حين تنقلت الأرض تحت أقدامهم"، بدأت في تذوق لذة سخريّة أتي من مسقط رأسني، إنه كاتب يحاكم بفكره الأخطاء الفاحشة للعالم، ومع ذلك فهو يفعل على طريقته الغنوصية "من حق كل حقبة أن تعيش هذيانها، القاتل. الألمان تمتعوا بذلك من هنتر، والرؤس مع ستالين والصينيون مع ماو.. لن أسمح لنفسني بمحاكمتهم. لكن عندما يصير المشهد ضاربا في الفحاشة، أفضل مغادرة القاعة. وذلك لأسباب جمالية لا أخلاقية".

ينشر كاملا على الموقع بالاتفاق مع «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية

أب غاضب لأن ابنه لم يتعلم شيئاً من دروسه في السينيزم، فقرّر بمناسبة زواجه أن يرسل إليه البرقية التالية "الزواج في الشباب كابتياح سخان كهربائي صيفا". فأجابته الابن فوراً "لا تتولّ عليّ لأهديك مكثفاً في الجحيم".

يمثل جُهود الأبناء تجاه والديهم الشكل الأكثر مكرًا للحب الذي يدينون لهم به، تمثل مقاومة قلقي الشخصي النشاط الأساسي الذي كنت أقوم به، وهو النشاط الوحيد الذي طالما مارسته في غاية السرية، وليس ذلك للأنافة بل لتجنب الشفقة. كان البعض يغارون مني لأنهم كانوا يجهلون كل شيء عني. وبفضل حسن مراعاتي كنت أتمكّن من الإفلات منهم.

لم يكن ذلك بدوم طويلاً. كنت أحلم بالعدم كإنتصار أخير، لكن في قرارة نفسي كنت أعلم أن السقوط سيكون شأنه شأن حياتي دون منزلة.

في أحد الأيام، في فندق فخم، التقى نظراتي بنظرات معبود الشباب الذي كان يستعد لإشعال شرارة الرغبة الجماعية في أحد ملاعب لوزان. كان من فئة الرياضيين الذين تفوقوا على كل المصاعب، في حين لم أكن أطمح إلا لأصير الكتيّب الأكثر طيشاً في جيله. كان معبود الشباب من فئة المراهقين المتخفين الذين تصنع الحياة منهم أجمل شيوخها قريباً سيتجاوز تلك النقطة التي بعدها تصير تذكرته غير صالحة. كنّا تقريبا في نفس النقطة، تلك التي عندها يجتاحنا شلل إلهي: تمّ كل شيء، ربحنا كل شيء، خسرنا كل شيء. ما جدوى ذلك؟ ابتسامة النصر تشبه تكسيرة الهزيمة. كان يعرف ذلك وأنا كذلك. كان فينا شيء من تينيسي.

### ما يفهم جاكار بعد الكتابة هو التركيب وخاصة الفكر النقدي المؤدي إلى إزالة جزء كبير من النص

كنت في ما مضى أخفّف من روح قلقي بمعاشرة فريد وبمشاهدة أفلام إنغماس برغممان، اليوم أمتص أعوادا كيميائية وأتفرّج على كائنات بشرية إلكترونية وهي تهتزّ على قناة M.T.V.. هكذا تتفسخ الإنسانية - منّا وخارجنا. في أفضل الحالات، تدور العلاقات على هذه الشاكلة: في اليوم الأول الإثارة، في اليوم الثاني الفضول المرضي، في اليوم الثالث اللا مبالاة. لكن عندما تمتدّ الإثارة فالأسوأ ليس بعيداً.

الشابات، ليس من الشائع العثور على الرجال القساة، فإن عثرتن على واحد منهم، فلا تفرطن فيه!

طالما حاولت عبثاً أن أكون ذلك الرجل القاسي. لم أتمكن إلا من ترويض بعض العصافير التي سرعان ما عادت إلى حرية

مرة أخرى بعض الشذرات المقتطعة من كرايسه الشخصية؛ وليكن. خاصة أن علينا أن نحاول في تقدير أنفسنا إلى المرض لكي نتخيل أن لخربشتنا أي وقع على قرأنا المساكين. إذ لا قيمة لها عند أصحابها من الكتاب. إذن؟ إذن علينا أن نرفه عنهم وذلك باستغفازهم أو بتسليتهم. هذا فعلاً ما تقوم به، شتّى أم أينا. إن أبرز قيمة لأي عمل إبداعي تكمن في إضحاك أولئك الذين ليس بوسعهم تذوقه. فإن تمكّن من إضحاك حتى المعجبين به، إذن يمكننا أن نقول إننا لم نضئ وقتنا، حياة فنحن وهي لم تكد تبدأ. سنحاول أن نرتبها بعض الشيء. ملثاتي الوحيدة شبقية وشغفي الحقيقي فكري.

أردت أن أفهم - مع بقيتي أن لا شيء أردت أن يفهم. أردت أن أحب - مع بقيتي أن لا أحد يستحق الحب. أردت أن أموت - مع بقيتي أن الموت ليس حلاً.

نعتني بعضهم بالمتهابي. إن كان ذلك صحيحاً، فلن أكون قليل التفاخر بأنني نجحت في ذلك لمدة تقارب نصف القرن. لكنني أفضّر أن أحسن الانتحار ببقية بالنسبة إلى بعض الناس نوعاً من التباهي، وهي طريقة رخيصة لإبتياح تذكرة إلى اعتراف الأجيال القادمة. أنصحهم بأن يحاولوا: ليس الأمر بالسهولة التي يزعمون. في كل الحالات، لن أكون هنا لأهراً من سخريتهم.

في شبلي، ارتابت نفسي في شخص اليهودي الثائث أهاسيفروس. لأنه كان قد خاطب المسيح بوقاحة وهو على طريق الصليب، حكم عليه بأن لا يرتاح في أي مكان كان وأن يعبر القرون وكأنه ميت حي. لكن اللعنة التي يحمل عبثها هي في الآن ذاته بركة تعمه. رمز النّية والانفصال والقلب جميع القيم، إنه ذلك الحالم الساخر الخائن لجل وعوده، وهذا ما كنت أطمح أن أكون. وفعلاً أطنبت في تديد ثرواتي الأخلاقية في الاستهزاء وفي لعب دور مصاص الدماء مع الفتيات الصغيرات.

بالنسبة إلى أناس مثلي ليس العالم إلا نيكورا لرغباتهم أو مخيرا لصراعاتهم. هذا ما يفرض عيش حيوات كثيرة وإفسادها جميعاً حتى لا ننجح إلا في مراسم دفننا.

حين فهمت مهزلة أنني سويسري، وهي مهزلة تشبه وضع تلك الأنسة التي أردت أن تستغل في ماخور دون أن تفقد عذريتها، بدأت في تذوق لذة سخريّة أتي من مسقط رأسي. لا أتحمّل إلا الأشخاص الذين يحمون الآخرين من فظاظة حمل جنسية أو دين، وهم أشخاص تنقلت الأرض تحت أقدامهم. هذا ما يفرض عيش حيوات كثيرة وإفسادها جميعاً حتى لا ننجح إلا في مراسم دفننا. حين فهمت مهزلة أنني سويسري، وهي مهزلة تشبه وضع تلك الأنسة التي أردت أن تستغل في ماخور دون أن تفقد عذريتها، بدأت في تذوق لذة سخريّة أتي من مسقط رأسي. لا أتحمّل إلا الأشخاص الذين يحمون الآخرين من فظاظة حمل جنسية أو دين، وهم أشخاص تنقلت الأرض تحت أقدامهم. هذا ما يفرض عيش حيوات كثيرة وإفسادها جميعاً حتى لا ننجح إلا في مراسم دفننا.

والخوف. إذا كان يوجد شيء يمكن إنقاذه فيه، فأفضل تركه للآخرين. أنا لست حساساً جداً لهذا الهديان المقدس المتمثل في الذبائن السماوية التي ظهرت كما لو كانت صدف في منطقة من العالم حيث تضرب الشمس بشدة. صحيح أن النازية والشيعية والماوية (وقع جل المثقفين الفرنسيين في غرام الأخرين) تفتانني في إثبات أن للعبودية وللقتل الجماعي نوابض عميقة في النفسية البشرية. يبدو اليوم أن الإسلام قد حمل شكلة الخضوع. لقد صار ظاهرة موضة، أو "مبال" إن تحدثنا كشباب اليوم. فهو يرشنا بحاسيس قوية ويجعل المحارب الرائد فينا يهتزّ. في بحر من الطين ومن الدم، هل للكثيبتات الساخرة كالتي أؤلف حظكي ينظر إليها بطريقة أخرى غير أنهما آثار لعالم الغد؟ أشك في ذلك بشدة. ولكن وحده الذي يعلن أنه هزم يكون قد هزم. لن تكون هذه حالتني أبداً، ولن تكون كذلك حالة صديقي العزيز ومرترجمي أيمن حسن.

### مكيف في الجحيم

"سامحوا تناقضاتي: إذ يجب اقترافها عند التفكير، أفضل أن أكون رجل تناقضات على أن أكون صاحب أحكام مسبقة".

\* جان جاك روسو

يُعرف عنه التسرع في إصدار كتيبتات حول موضوع: الفاقة والموت، وبلومه البعض على وقاحته، فينباهي بها. كان يريد أن يكون كاتباً من صنف بسيط وأصيل وجذاب. لكنه يشك في أنه توصل إلى ذلك. قد عاش كوارث لا تصدق. لكن وحده غريق مسيح "دوليني" تركه في حالة يرثي لها.

الصق على نفسه صفة العدمية واطلب في الاستشهاد بسبوران وشوبنهاور. لكنه أبداع في الميوعة. كان يسهر على أن يكون هناك 100 في المئة من الاقتناع و100 في المئة من التحدي في ما كان يكتب.

تعرّف على الكثير من الرجال العظماء وعلى فتيات. في آخر حياته لم يعد يقدّر على التمييز بينهم. خُف وراء صورة لرجل لطالما تراجع أمام الانتحار تاركا مكانه لآخرين أكثر عجلاً منه. عندما لم يكن يلعب الشطرنج أو تنس الطاولة، كان يحزّر مصنفاً أساسياً عن البندقية الدوّارة لدى الجيش البلغاري في القرن التاسع عشر. لم يعترف له أحد بذلك الجميل أو بأي جميل آخر، لكنه لم يبسال بذلك. لم يكن أحد يعرف كيف وإفاه الأجل المحتوم. حتماً كان ذلك على حافة مسبح بنزل فاخر في اليابان. هذا ما كان يحلم به على الأقل. ما سواصف بالمتكبر إن قلت إنني أرى نفسي في هذا الرجل، أو هل سأعتبر ضعيفاً إن نشرت

كان الفيلسوف الألماني نيتشه يقول "إن مرامي أن أقول في عشر جمل ما يقوله غيبري في كتاب.. ما لا يقوله في كتابه". من هنا نفهم اهتمام الفلاسفة والمفكرين والكتاب والأدباء بالكتابة الشذرية التي تمثل نوعاً من التفسخ والتفكك والاختلاف وشكلاً من الثورة على المقياس المنطقي الصارمة، لقول الفكرة خالصة نقية من الأدران والحشو والالتواء، وهو ما اختاره الكثير من الكتاب مثل إميل سيوران وصديقه رولان جاكار الذي ننشر في ما يلي نصاً لحوار معه أجرته مجلة الجديد الثقافية اللندنية.

في هاتين المهنتين؟ هل يبدو لك ما يجري فيها صافياً أو على الأقل عادياً؟



أيمن حسن  
شاعر تونسي

● رولان جاكار: بما أنني صرت عجوزاً بسرعة (وهي أفضل طريقة للمحافظة على الشباب)، لطالما بدا لي أنني كنت متقادماً. لقد تمكّنت، وهذا هو الأهم بالنسبة إليّ في أي حياة كانت، من حماية جل وقت الفراغ الخاص بي تقريبا. يتراءى لي أننا انتقلنا من خيال التقدّم إلى خيال الكارثة. وهذا ما يؤكد ما عرفناه منذ الأزل: الإنسانية ليست موهوبة للأفضل ولا للأسوأ كذلك.

● الجديد: لا يمكننا محاورتك دون طرح سؤال سياسيّ عليك. ما رأيك في ما يجري خلال السنوات الأخيرة مع العلم أنك كنت قد زرت تونس للعديد من المرات في الستينات والسبعينات؟

● رولان جاكار: بعد إتمامي لدراستي الجامعية في لوزان، أهدى لي والدي إقامة طويلة في تونس، خاصة في الحفاسات وسيدي بوسعيد. احتفظ بذكريات مبهرة لها. حرية الأخلاق، الفتيات على الشاطئ، اللعب الليلية.. باختصار، هي الحياة الحلوة. لكن عاينت على مرّ السنين الضعود الذي لا تمكن مقاومته - لا وحسب في تونس، بل كذلك في سويسرا - للذين الذي يعطي في نظري شهداً مزعجاً لسلفية دموية، لكن، ورغم كل شيء، من حق كل حقبة أن تعيش هذيانها القاتل. الألمان تمتعوا بذلك مع هنتر، والرؤس مع ستالين والصينيون مع ماو.. لن أسمح لنفسني بمحاكمتهم. لكن عندما يصير المشهد ضاربا في الفحاشة، أفضل مغادرة القاعة. وذلك لأسباب جمالية لا أخلاقية.

● الجديد: وماذا بخصوص "مكيف في الجحيم"، وهو مجموعة من الشذرات والأقوال المثورة التي تتراجع بين الجدّ والهزل؟ هل يمكنك أن تروي لنا قصة ولادة هذا الكتاب؟

● رولان جاكار: بالنسبة إليّ، يمثل الشكل الشذري روح الأدب، النواة الأساسية، العلبة السوداء لكل إبداع يريد أن يتحدى الزمن. على سبيل المثال "هل تذكر تلك العباين التي، عندما وصلنا إلى إيبيروس، كانت تمسح خلفنا آثار أقدامنا؟ تعالين أخرى ستاتي وكل شيء سيسمح". لطالما تمتعت بتوابل لاروشفوكو، شومفور، نيتشه أو سيوران كي لا أصاب بغواية قول في فترة واحدة ما يتعسر على آخرين التعبير عنه في كتاب كامل. في "مكيف في الجحيم"، نقرت في دفاتري ما يمكنه إعطائي وهم أنني أستحق تقدير أسانذني في السخرية والتحرير من الوهم. الوقاحة، الاستفزاز، الفكر الخبيث، طالما دفعوني، أحياناً رغماً عني، إلى قول كلام غير لائق. التحليل النفسي لعب كذلك دوراً هاماً. أن تكون عقلاً حراً يتطلب التخلص من كل حكم مسبق والتعبير عن كل ما نشعر به، حتى الأبتع. ومع ذلك، يجب أن تكون في حالة طيبة. ومن هنا تبرز الحاجة الملحة إلى عدم الاكتراث وقبول هزيمة الفكر بشيء من الوقاحة. وإن كنت قد فشلت في ذلك، فعلى الأقل قد حاولت قبول تحدي الشكل القصير في الكتابة.

● الجديد: اليوم وقد تُرجم الكتاب إلى العربية، ماذا تنتظر من هذه المغامرة خاصة وأنك كتبت العديد من النصوص ونشرت الكثير من الفيديوهات على الإنترنت وفي مجلة "كوزور" (Causeur)، التي عثرت فيها عن قلق من تفشي الخطر والإرهاب الإسلامي؟

● رولان جاكار: بالنسبة إلى الفوضوي الكامن في، الإسلام يُسببُ النّفور

في الحوار مع رولان جاكار، وكذلك في الشذرات المسماة "مكيف في الجحيم" التي ترجمها أيمن حسن، نتعرف على شخصية أدبية وفكرية فرنسية من نوع استثنائي.

● الجديد: اسمع لي بان انطلق من كتاب الصادر مؤخراً تحت عنوان يابانية في باريس. في ما يتشمل بالتحديد؟ هل هو، كما يبدو للجميع، حكاية للأطفال، أم، كما تبين لنا، قصة للكهول؟

● رولان جاكار: في البداية، هو طلب من ناشر ياباني لجمهور مستهدف: اليابانيات الشباب اللواتي يحملن بياريس وبالحب الكبير. لقد رفعت التحدي وفي ذهني كتاب إيريك سيغال (1973 - 2010)، "لوف ستوري" ("قصة حب")، وكذلك بعض الشيء ستيفان زيفانغ من ميترات الشيوخة أنه ليس لنا من ننتبه أو ما نخسره. قلت إذن لنفسني: فألسمح لنزعاتي الرومانسية بالتحزّر.. فالكمجات دائماً على حق.

● الجديد: ما الذي يخفي عنك التواصل مع رسّامين أمثال رولان توبور، رومان سولكومب وغيرهما من الفنانين المشهورين بخرابتهم؟ هل تبحث عن تعويض لمهية تفقدتها؟

● رولان جاكار: في البدء، كنت أود أن أكون سينمائيًا، ولقد صوّرت فعلاً بعض الأفلام في لوزان. حتى أنني اشتغلت في فيينا مع جون رونوار. استمتع الآن يوميًا بتصوير فيديوهات أسستها "هايكاباتي البصرية". كل الرسّامين الذين اشتغلت معهم كانوا أصدقائي وأقدر أعمالهم، وعلى رأسهم توبور. هي متعة كبرى أن أجدهم في كتيبي.

### الشكل الشذري يمثل للكاتب روح الأدب، النواة الأساسية، العلبة السوداء لكل إبداع يريد أن يتحدى الزمن

"حياتي وخيانات أخرى"، قصة صدرت سنة 2013، تمثل ذلك كتاباً فلسفياً وعملاً أدبياً حياً شديداً الشراسة. تمكن قراءة النصوص الخمسة والثلاثين التي يتكوّن منها بطريقة مسترسلة أو بطريقة متقطعة. كيف كتبت؟ كيف تنظم نصوصك وأفكارك وكتبت؟

أكتب كيفما كان وأينما كان. ما يهّم بعد ذلك هو التركيب وخاصة الفكر النقدي المؤدي إلى إزالة جزء كبير من النص. من جهة أخرى، أحاول أن أكون أكثر قرباً من نفسي. ما جدوى الكتابة إن لم نتحدّث عن أنفسنا؟ بالطبع، إلا بغضب، لكن أنا الأخرين بالأخص.. ثمّ ليس من الأفضل أن يكرهنا الناس لذواتنا على أن ننال إعجابهم أو نحظى بحبهم لما لسانا عليه.

### آثار لعالم الغد

● الجديد: يمكن وصف قراءتك بالعدمية، ما معنى ذلك؟ ليس العدم إلا برنامجاً، على حدّ رأي سيوران الذي كان صديقاً حميماً لك وقد كتبت عنه كتاباً جميلاً جداً صدر سنة 2005 عن المنشورات الجامعية الفرنسية. ماذا عن كل ذلك إذن؟

● رولان جاكار: يجب ألا نتعجّل في الحديث عن العدمية؛ فلنقل إنني أمارس فلسفة أو فنّ فك الارتباط، وذلك بصحبة بعض المعلمين: شوبنهاور، نيتشه، سيوران وأفييل وبنرهارد وفرويد.

● الجديد: أنت اليوم متقاعد، وبعيد عن عالم الصحافة الأدبية والنشر. كيف ترى ما يجري

